الهيكسوس

أصلهم وموطنهم الأول

للدكتور باهور لبيب
مدرس بمعهد علوم الآثار المصرية

اختلفت آراء المؤرخين في تحقيق اصل الهيكسوس وموطنهم وهم الذين غزوا مصر حوالي سنة ١٧٣٠ قبل الميلاد

فبعض المؤرخين يؤكد انهم الفريق الذي هاجر الى مصر من سلالة آرية[١] كان موطنها بلاد ما بين النهرين [٢] في وسط آسيا ثم هاجروا الى غربها حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد

والبعض الآخر يقول إن أصلهم من أعراب شبه جزيرة العرب[٣] غير ان الابحاث الحديثة قد أسفرت عن انهم من أصل سامي [٤] وموطنهم فلسطين[٥] وانهم من طائفة اليهود الذين ورد ذكرهم في التوراة والقرآن الكريم

وقد رجحتُ الرأي الأخير في ملخص رسالتي للدكتوراه[٥] مستنداً في ذلك الى عوامل متعددة منها ما أورده المؤرخ المصري القديم مانيتون من أن الهيكسوس «قوم شرقيون أتوا الى مصر من الشرق وانهم من بني اسرائيل بعد ان فند مازعمه البعض من أنهم عرب [٦]

ثم إننا نستخرج من مجرد تسمية المصريين للهيكسوس ما يؤيد الرأي المتقدم. فقد لقب الهيكسوس بألقاب متعددة في النصوص المصرية القديمة . أطلق عليهم اسم « حقاخاسوت »

(١) N. D Mironov, Aryan Vestiges in the Near East, Acta Orientalia I: (1933) p. 150 ff; Junker, Geschichte der Aegypter, 1933 p. 105

(٢) E. Brugelmann, Noch einmal : Die Hyksosfrage, Z. D. M. G. bd. 80 (1926).

(٣) Kugg, Studies in Eastern History

(٤) R. Dussaud, Revue de l'Histoire des Religions 1934 p. 113 ff; Pahor Labib, Die Herrschaft der Hyksos in Aegypten, 1934 p. 8 ff;

(٥) Pahor Labib, Die Herrschaft der Hyksos in Aegypten, 1934 p. 8 ff.

(٦) Waddell, Manetho, in Loeb classical Library, 1940 p. 77 ff.

أي حكام قبائل فلسطين (حرفيًا الاراضي الجبلية) . وسموا « طمو » أي الاسيويين وعلى الاخص الساميين . وكذلك أطلق عليهم « منتيوسنت » وهو اسم القبائل التي كانت تسكن الصحراء في شمال شرق مصر جنوب فلسطين . وأخيراً سموا باسم « شاسو » الذي كان يطلق على سكان شمال شرق مصر ويقصد به قبائل جنوب فلسطين أعني الجزء الذي به قبائل جنوب فلسطين والذي به قبائل سامية

فجميع هذه الاسماء المختلفة التي أطلقت على الهيكسوس تدل دلالة واضحة على أنهم من أصل سامي ولها علاقة بفلسطين وهي الجهة التي كان يقطنها اليهود

ومن الاشياء التي تساعدنا على تأييد التعليل السابق أن أغلب الاسماء التي جمعت عن ملوك الهيكسوس وأفرادهم في عهد وجودهم بمصر وهي التي لم يعرف أنها اسماء مصرية، ترجع الى اصل سامي كنعاني . فعلى سبيل المثال نرى ضمن اسماء الملوك « يعقوب إل » « وعنات إل » وكلاهما اسم سامي عبري كما هو ظاهر . ومن أسماء الأفراد « عابد » و « عمن » وهي ايضاً سامية عبرية . فهذا يدل على أنهم كانوا من اصل يمت بصلة كبيرة الى العبرانيين

غير ان بعض المؤرخين(١) يشير الى اسماء بعض ملوك الهيكسوس التي لم يثبت للآن أنها سامية مثل سلاتيس وبنون وأبخنان . ولكننا لا نرى في ذلك شيئاً من الغرابة إذا لاحظنا أن مثل هذه الاغارات تتكون في غالب الاحايين من عناصر مختلفة . مع ملاحظة ان هذه الاسماء وردت الينا عن طريق المؤرخ مانيثون باللغة اليونانية فقط وقد نقلها بالطبع عن اللغة المصرية القديمة ويحتمل جداً ان يكون قد أصابها التحريف فلا يمكن اذن الجزم بأنها ليست اسماء سامية

وقد ظهرت في مصر على أثر غزوة الهيكسوس اسماء آلهة سامية كانت تعبد اصلاً في فلسطين وتلك الآلهة هي « عنات » « وبعل » . فلو لم يكن الهيكسوس ساميين لما نقلوا معهم آلهتهم السامية الى مصر

***

ومن المسلَّم به أن الهيكسوس هم اول من أدخلوا استخدام الجواد والعربة الى مصر . ونحن اذا تتبعنا تسمية المصريين للحواد والعربة وجدنا انها اسماء سامية كنعانية . فالجواد كان يسمى « سسمت » وهي كلمة كنعانية سامية . واطلق على العربة « مركبات » وهي كلمة ايضاً

(١) Junker, Die Aegypter p. 103

سامية كنعانية. ولا يجوز عقلاً ان نفرض استعمال الهيكسوس لغير لغتهم الاصلية في تسمية هذه الاشياء ما لم يقم الدليل على ضدّ هذا

وقد أظهرت لنا الحفائر الاخيرة في فلسطين[1] عدة مقابر ترجع الى عصر الهيكسوس ومؤرخة بأسماء ملوكهم فهذا دليل مادي على وجود صلة ما بين اليهود في فلسطين وما بين الهيكسوس في مصر

***

كذلك معروف أن العبرانيين كانوا يعبدون الحمار فاذا توصلنا الى التحقق من عبادة الهيكسوس له استطعنا أن نقيم الدليل على أنهم من أصل سامي

وفي سبيل ذلك نقول أنهُ وجدت في المقابر السالفة الذكر أربعة حمير مدفونة في مستوى أعلى من مستوى الاشخاص أنفسهم

وفي هذا وحده دليل على عبادة هذا الحيوان . إذ لو كان دفنها في المقابر بقصد القربان لوجدت في مستوى الاشخاص أو تحتهم . وليس فوق هذا المستوى كما قد لوحظ فعلاً من وجود جياد مدفونة كقرابين في مستوى أقل

وما دمنا قد ذكرنا أن هذه المقابر مؤرخة بأسماء ملوك الهيكسوس فاننا نستنتج من ذلك أن عبادة الحمار كانت سائدة بين الهيكسوس يؤيد ذلك أيضاً أن أحد ملوك الهيكسوس كان يسمى « حاقن » أي « الحمار القوي »[2] ومعروف ما جرى عليه الملوك من إدخال أسماء الآلهة في ألقابهم وقد أقرّ الاستاذ Bissing في مقاله :

"Das angebliche Weltreich der Hyksos" in Archiver Orient, Forschung, Juni 1937, p. 325 ff. هذه الاسانيد صراحة فيما عدا هذا الدليل اذ يعترض بقوله أنهُ عثر على حمير وجياد مدفونة في مقابر ابي سنبل وترجع الى القرن الرابع والسادس الميلادي . وعلى هذا فدفن الحمير في مقابر فلسطين لا يدل على معاصرتها للملوك الهيكسوس . غير أنهُ فاتهُ أن دليلنا قائم على ما هو ثابت من أن المقابر السالفة الذكر مؤرخة بأسماء ملوك الهيكسوس وهو دليل مادي حاسم . يضاف الى هذا استنتاجنا في عبادة الهيكسوس للحمار قائم كذلك على طريقة دفنه وهذه الطريقة لم تتوافر اطلاقاً في مقابر ابي سنبل . هذا فضلاً عن ان العالم المذكور لم يعترض على الحلقات الاخرى التي تساندت في تأييد بعضها بعضاً

(١) Petrie, Ancient Gaza, I, p. 3 ff.

(٢) Pahor Labib Die Herrschaft der Hyksos in Aeg., 1934 p. 25.

يضاف الى ما تقدم أنهُ على أثر غزوة الهيكسوس لمصر اختار الغزاة احد آلهة المصريين وهو « ست » وساووه بآلهتهم . وكان مظهر هذه المساواة أن جعلوا الاله «ست» في لغتهم مخصصاً لكلمة حمار « عا »

ثم هناك مسألة أخرى تؤيد ان الهيكسوس أصلهم ساميّ ومن فلسطين وذلك انهُ معروف ان القوم المسمون باسم « خيرو » في خطابات تل العمارنة المحررة بالخط المسماري هم قوم ساميون استولوا على فلسطين ومنها وسعوا سلطانهم وانهم مقيمون في فلسطين الى عهد اخناتون

دلت ابحاثنا على أن كلة «خيرو» ترادف الكلمة المصرية القديمة « عبري» وهي عبري الحالية . وذلك لان الخط المسماري لم يعرف حرف العين فكتب« خ »بدل «ع». أما ابدال الباء بـ «ب» فمعروف في اللغة المصرية القديمة

واخيراً وجدت في إحدى مقابر بني حسن في احد اركان الحجرة صورة تمثل قبيلة كنعانية مؤلفة من ٣٧ شخصاً من رجال ونساء واطفال وفدت من فلسطين الى مصر في أيام الملك سنوسرت الثاني . وأول ما يلاحظ على تلك الصورة هو أن ملامح هؤلاء الاشخاص ولباسهم وأوصافهم واضحة الدلالة على أنهم من أصل ساميّ . كما ان تلك الصورة ذكرت نقوشها انها كانت برآسة « إبشا » الذي يحمل لقب « حقا خاسوت » وهذا اللقب هو الذي اختاره ملوك الهيكسوس فيما بعد لأنفسهم بل أكثر من ذلك فان هذا النعت قد اطلقهُ المصريون على قبائل هؤلاء الغزاة قبل غزوهم مصر وبعد طردهم منها

فاذا كانت هذه القبيلة سامية الاصل فلسطينية الوطن ولقب رئيسها بلقب ملوك الهيكسوس فذلك مما يبعث على الاطمئنان الى تأييد ما نقوله من أن الهيكسوس كانوا من ذلك الاصل ومن هذا الوطن

والى جانب ما تقدم هناك عدة أسانيد أخرى أوردناها في ملخص رسالتنا للدكتوراة لا نرى محلاً لذكرها في هذه المقالة . غير أننا نستطيع ان نضيف الى تلك الأسانيد حجة جديدة لم ترد في رسالتنا تؤيد وجهة النظر السالفة من حيث ان الهيكسوس ساميو الأصل وهي ان هناك أثراً من العاج على شكل أبي الهول يقترب بأطاره مصرياً يمثل أحد ملوك الهيكسوس وقد لاحظ العلامة شارف في كتابه « Handbuch der Archäologie » الذي ظهر عام ١٩٣٩ - إن ملامح هذا الملك «هيكسوسي واضحة الدلالة على أنهُ ساميّ الأصل »